من قصص القرآن والسنة
قصة قارون دروس وعبر

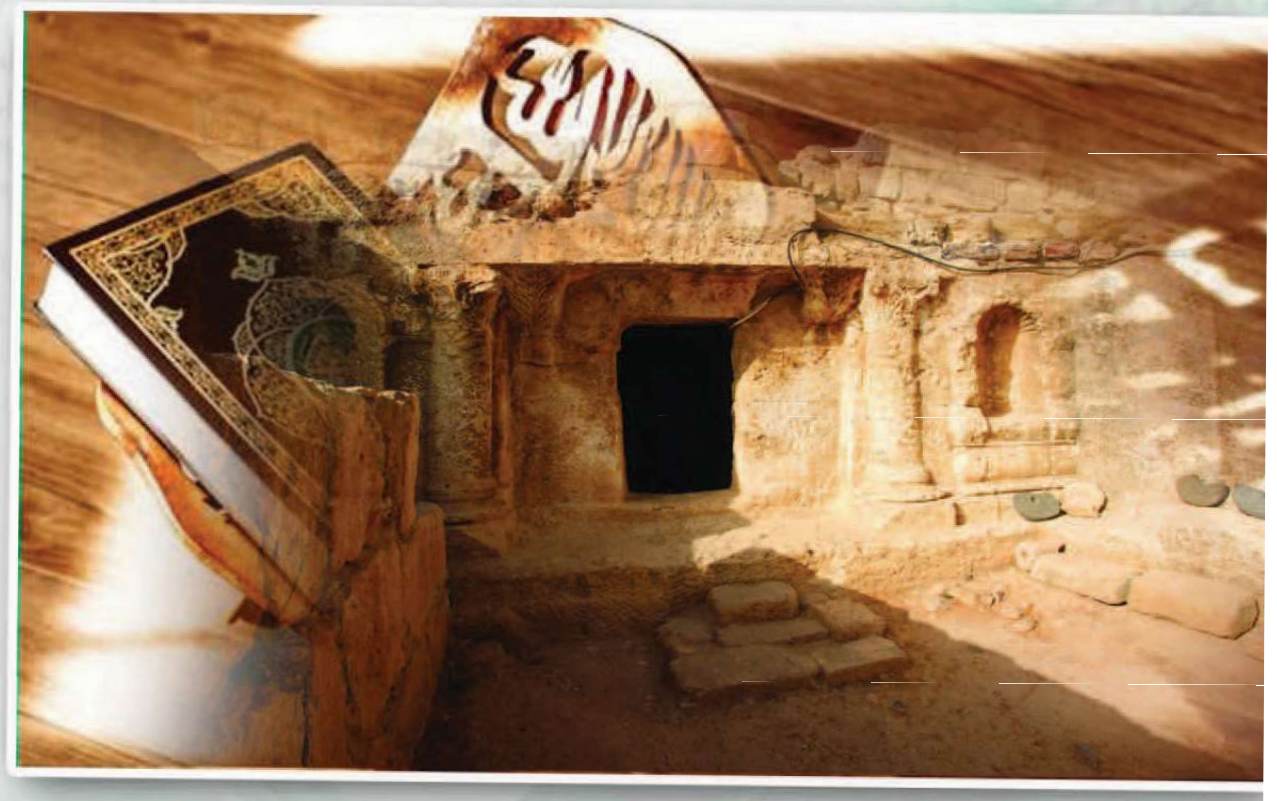

الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

من قصص القرآن والسنة

قصة قارون

دروس وعبر

كتبه الفقير إلى عفو ربّه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فالقلوبُ بين إصبَعَينِ من أصابعِ الرحمنِ، يُقلِّبُها كيف يشاء، فقد يصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيع دينَه بِعَرَضٍ من الدنيا،

والهدايةُ والثباتُ على الحقِّ والهدى لا يملِكُه إلا اللهُ، فمَنِ اهتدى فبفضلِ اللهِ ورحمتِه، ومَنْ ضلَّ وأزاغَ اللهُ قلبَه فبعدلِ اللهِ وحكمتِه.

والعبدُ مهما بلغَ من العلمِ والعملِ الصالحِ لا يأمَنُ مكرَ اللهِ، ومهما بلغ من العصيانِ والتقصيرِ لا ييأسُ من رحمةِ اللهِ والإنابةِ إليه، واللهُ يحفَظُ على العبدِ دينَه، وينجِّيه من الفِتَن على قدرِ إخلاصِه وتقواه لله، ويُزِيغُ قلبَه ويسلُبُ منه النِّعَمَ على قدر فساد قلبِه واغترارِه بنِعمِ الله، فكم من إنسانٍ اغترَّ بعلمِه أو مالِه أو جاهِه أو سلطانِه أو قوَّتِه أو عيالِه، فخسف اللهُ به الأرضَ، وسلبَ منه تلك النِّعَمَ، وجعلَه عِبرةً للمُعتبِرين!

فهذا رجلٌ قصَّ اللهُ علينا قِصتَه في القرآنِ العظيم، كان عبدًا صالحًا، وعنده شيءٌ من العلمِ، وصحابيًّا من أصحابِ نبيٍّ، وسَّعَ اللهُ له في الرزقِ، حتى صارت مفاتيحُ خزائنِ مالِه لا يستطيعُ أن يحملَها العُصبةُ من الرجال.

فاغترَّ بعلمِه ومالِه وجاهِه وسلطانِه وخَدَمِه وزِينتِه، وحمَلَه ذلك على الكِبْرِ وسوءِ الأدبِ مع الخلقِ وانتقاصِ قدرِ العلماء،

فنصَحَه علماءُ وصالحو قومِه، فقال لهم: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ}، ثم خرج عليهم بغرورِه وكبريائِه وزينتِه؛ ليغيظَهم، فاغترَّ بزينتِه الجهَّالُ والمغفَّلون، فخسف اللهُ به وبدارِه وكنوزِه وزينتِه الأرضَ، وجعله اللهُ عبرةً لمَن يعتبرُ، وهذا جزاءُ كلِّ متكبرٍ مغرورٍ مُفسِدٍ في الأرضِ!

وهذا الذي ذكر اللهُ قصتَه هذه هو قارونُ الذي كان من أصحابِ نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام، فأزاغَ اللهُ قلبَه لغرورِه، وكِبْرِه، وسوءِ أدبِه، وبَغيِه على قومِه، ولم يملِكْ له موسى الهدايةَ ولا التوبةَ.

وفي هذه القصةِ من قَصصِ القرآنِ الكريمِ مجموعةٌ من الدروسِ والمواعظِ والعِبَر التي يجبُ علينا أن نتفطَّنَ إليها ونتعلمَها؛ حتى لا يصيبَنا مثلُ ما أصاب الفاسدَ المغرورَ، قال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [يوسف:١١١]، وقال سبحانه: {فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾} [الأعراف:١٧٦].

وهذا ما نسلِّطُ عليه الضوءَ بمشيئةِ اللهِ تعالى في هذه الرسالةِ الموجزةِ، ونسألُ اللهَ تعالى بفضلِه ورحمتِه أن يُثبِّتَ قلوبَنا على دينِه، ويصرِفَها لعبادَتِه، وأن يرزُقَنا الإخلاصَ والتواضعَ والانقيادَ والقبولَ، فهو وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين!

المبحث الأول
نص القصة من القرآن الكريم

{۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣} [القصص:٧٦-٨٣].

المبحث الثاني
معاني مفردات القصة

١- {مِن قَوْمِ مُوسَىٰ}؛ أي: مِن بني إسرائيلَ. وقيل: كان ابنَ عمِّ نبيِّ اللهِ موسى.

٢-{فَبَغَىٰ عَلَيْهِم}: تجاوَزَ الحدَّ في الكِبْرِ والطغيانِ وسوءِ الأدبِ معهم.

٣- {ٱلْكُنُوزِ}: هي الأموالُ التي لم تُخرَج زكاتُها، اكتنَزَها صاحبُها ولم يؤدِّ حقَّ اللهِ فيها.

٤- {مَفَاتِحَهُۥ}: جمعُ مِفتاح، والمقصودُ: مفاتيحُ الأموالِ التي عندَه.

٥- {لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ}؛ أي: لِكثرتِها صار وزنُها ثقيلًا، تحتاجُ إلى مجموعةٍ من الرجالِ الأقوياءِ لِحَملِها، ومع ذلك تكونُ ثقيلةً عليهم.

٦- {أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ}؛ أي: الرجالِ الأقوياءِ الأشِدَّاءِ.

٧- {وَٱبْتَغِ}؛ أي: اطلُبْ والتمِسْ حظَّكَ من العملِ الصالحِ الذي يُنْجيك يومَ القيامة.

٨- {وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ}؛ أي: لا تسْعَ في الأرضِ بالفسادِ والظلمِ الكبير.

٩- {عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ}؛ أي: بعملي وخِبْرَتي وذكائي حصلتُ عليه.

١٠- {ٱلۡقُرُونِ}؛ أي: الأمم التي مضَتْ.

١١- {وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ}؛ أي: أكثرُ جندًا وجمعًا للمالِ.

١٢- {لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ}؛ أي: صاحبُ نصيبٍ وافرٍ مِنَ الدنيا.

١٣-{زِينَتِهِۦۖ}؛ أي: في أُبَّهَتِه وجمالِه بالملابسِ الفخمةِ والمراكِبِ الهنيئةِ والخدم والحشم.

١٤- {ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا}: هم جَهَلةُ الناسِ الطامعون في الدنيا وزُخْرُفِها.

١٥- {ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ}: هم العلماءُ وطُلَّابُ العلم، فهم طُلَّابُ الآخرةِ الذين يَعرِفون قيمةَ الحياةِ الدنيا الفانية.

١٦- {وَيۡلَكُمۡ}؛ أي: هلاكًا وحسرةً عليكم إذا نظرتم لمتاعِ الدنيا، واغترَرْتُم بها ونسِيتم الآخرة.

١٧- {ثَوَابُ ٱللَّهِ}: جزاءُ اللهِ بخيري الدنيا والآخرةِ.

١٨- {وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ}؛ أي: لا ينالُ الجنةَ ويفوزُ بها إلا الصابرون على طاعةِ اللهِ وعن معصيةِ اللهِ وعلى أقدارِ اللهِ.

١٩- {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ}: دمَّرناه ودارَه، وابتَلعَتْهم الأرضُ.

٢٠- {فِئَةٍ}؛ أي: جماعةٍ من الناسِ.

٢١- {وَيْكَأَنَّ}: كلمة (وَيْ) للتندُّمِ، (كَأَنَّ) للتعجُّبِ والمعنى: ألم تعلموا أن اللهَ يبسُطُ الرزقَ لمَن يشاءُ ويضيقُ؟!

٢٢- {يَبْسُطُ}: يوسِّعُ.

٢٣- {وَيَقْدِرُ}: يضيِّقُ.

٢٤- {عُلُوًّا}: تجبُّرًا وتكبُّرًا على خلقِ الله.

٢٥- {فَسَادًا}: عملًا بالمعاصي والظلمِ.

٢٦- {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}: النجاةُ والفوزُ بخيرَيْ الدنيا والآخرةِ للمسلمِ المؤمنِ الذي عمِلَ صالحًا، وأخلصَ للهِ.

المبحث الثالث
المعنى الإجمالي للقصة

يُخبِرُنا ربُّنا جل وعلا عن قصةِ رجلٍ كان من صالحي بني إسرائيلَ، ومِن أتباعِ نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام ويقال: إنه كان ابنَ عمِّه، فابتلاه اللهُ جل وعلا بانفتاحِ الدنيا عليه بكثرةِ الأموالِ والتِّجاراتِ حتى صارت كنوزًا كثيرةً عظيمةً؛ بل إن المفاتيحَ التي تُغلَقُ بها الخزائنُ بلغت من الكثرة ما إنَّ جماعةً قويةً من الناسِ لا تستطيعُ حملَها من كثرَتِها وثِقَلِها، ولكنَّ قارونَ لم يشكُرِ اللهَ على هذه الأموالِ وهذه النعمِ، ولم يؤدِّ حقَّ اللهِ فيها، ولم يُخرِجْ زكاتَها حتى صارت كَنزًا، والكنزُ هو المالُ الذي لا تُخرَجُ زكاتُه، وبسبب هذا الثراءِ الماديِّ وكثرةِ النِّعَمِ أصابَه الكِبرُ على الناسِ، والعُجْبُ بالنفسِ، والبغيُ على قومه بالظلم والفسادِ وسوءِ الأخلاق.

فقال له قومُه ناصحين إياه: لا تفرَحْ بهذه الدنيا، ولا تفتخِرْ بها، فتُلهيَكَ عن الآخرةِ وطلبِها والعملِ لها، فإن اللهَ لا يحبُّ الفَرِحين بها، المغترِّين بزُخرفِها، المُنهَمِكين في طلبِها، وابتغِ بهذا المالِ

وهذه النعمِ رضوانَ اللهِ والفوزَ بالجنةِ في الآخرةِ، واستعمِلْه في الطاعة، وإياكَ والبخلَ به عما أمرَكَ اللهُ به، أو استعمالَه فيما حرَّمَ الله، ولا تنسَ نفسَكَ من العبادةِ والعملِ الصالحِ الذي خلقَكَ اللهُ من أجلِه، وكذلك لا تَحرِمْ نفسَك من الاستمتاع بالمُباحات من ملذَّاتِ الدنيا من غيرِ إسرافٍ ولا مَخِيلةٍ، وأحسِنْ فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلقِه، كما أحسَنَ اللهُ إليك بهذه النِّعمِ الكثيرةِ والرزقِ الوفيرِ، ولا تبغِ الفسادَ في الأرض بالمعاصي والكِبرِ والظلمِ ومنْعِ الزكاةِ؛ فإن اللهَ تعالى لا يحبُّ المفسدين المتكبِّرين البخلاءَ بنعمِ الله على خلقِه، فإن اللهَ يُعاقِبُهم ويُذِلُّهم ويجعلُهم عبرةً لمن يعتبرُ إذا لم يتوبوا ويُحسِنوا.

فردَّ عليهم قارونُ بكلِّ غرورٍ وكبرٍ وغطرسةٍ ناسِبًا الفضلَ لنفسِه قائلًا: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ}؛ أي: حصلتُ على هذا المالِ بذكائي وجهدي وخبرتي وعلمي بالكسبِ والتجارات، ولم ينسُبِ الفضلَ إلى اللهِ، وهذا من كُفرانِ النِّعَم، كما قال تعالى:

{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾} [النحل:٨٣].

مع أن الرزاقَ الوهابَ المتفضِّلُ على العبادِ بالنعمِ هو الله وحده، الذي قال: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾} [النحل:٥٣]، وكان الواجب عليه أن ينسُبَ الفضلَ إلى اللهِ ويقولَ: {هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾} [النمل:٤٠].

ولكنه كفرَ النعمةَ، ونسب الفضلَ لنفسِه وأنه حصَّلَه بخبرتِه وذكائِه، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله!

فالعبدُ لا يستطيعُ أن يتحوَّلَ من حالٍ إلى حالٍ إلا بفضلِ اللهِ ورحمتِه، ولا قوةَ للعبدِ على فعلِ شيءٍ إلا بقوةِ اللهِ وقدرتِه.

ونسِيَ قارونُ أن سُنَّةَ اللهِ في خلقِه أنَّ مَن كفرَ نعمتَه وظَلَمَ وبَغَى أهلكَه اللهُ ودمَّرَه، وشتَّتَ شملَه، وأذاقَه سوءَ العذابِ، كما قال اللهُ تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ

إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم:٧]، وقال: {ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾} [سبأ:١٧].

وقد سبقَ أن اللهَ أهلكَ مَنْ هم أشدُّ وأقوى، وأكثرُ وأغنى من قارونَ على مرِّ العصورِ والقرونِ والأيام من غيرِ أن يُسأَلوا عن ذنوبِهم.

ومعَ كلِّ هذا النصحِ من قومِه له عانَدَهم، وخرج عليهم بزَهْوِه وغرورِه وعُجبِه بنفسِه وكِبْرِه، في زينتِه وأُبَّهَتِه، مختالًا متكبِّرًا، فلما رآه الناسُ على تلك الزينةِ الدنيويةِ العظيمةِ انقسموا إلى قسمَينِ:

الأول: هم الذين يريدون الحياةَ الدنيا والانهماكَ في طلبِها، وقد اغتَرُّوا بزُخرِفِها، وهؤلاءِ مِنْ جهلِهِم واغترارِهم قالوا: {يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾} [القصص:٧٩] مِن زخارفِ الدنيا.

وهؤلاء هم الجُهَلاءُ، قَصِيرو النظرِ، قليلو العقلِ.

الثاني: هم مَنْ أنارَ اللهُ بصيرتَهم بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وهم العالِمون بقيمةِ الدنيا ودناءَتِها وفنائِها وزوالِها، المنهمكون في

طلبِ الآخرةِ، فقد أنكروا على المغرورين بالدنيا وزينةِ قارونَ، وقالوا لهم: ويلَكم، يا خيبتَكم ويا حسرتَكم، ثوابُ اللهِ وعظيمُ جزائِه لِمَنْ كانتِ الآخرةُ همَّه أن ينالَ خيرَيْ الدنيا والآخِرةِ، وخيرُ الدنيا يُنالُ بالقناعةِ والرضا بما قسَمَه اللهُ والزهدِ في الدنيا وعدمِ الاغترارِ بِزَخارِفِها الفانيةِ الزائلةِ، وخيرُ الآخرةِ يُنالُ بالفوزِ برضوانِ اللهِ وجناتِه والنجاةِ من نارِه، وهذا الجزاءُ يكون للمؤمنين الصادقين المجتهدين في العملِ الصالحِ المخلصين للهِ ربِّ العالمين، ولا يَلقَى هذا الجزاءَ العظيمَ إلا الصابرون على طاعةِ اللهِ وعلى أقدارِه.

وبِشُؤمِ بَغْيِ قارونَ وتكبُّرِه وعُجبِه بنفسِه وتَعاليه على الخلقِ وكفرانِه بِنِعَمِ اللهِ عليه بنسبتِها إلى نفسِه وإنكارِ فضلِ اللهِ عليه، خسفَ اللهُ به الأرضَ وبمالِه الذي اغترَّ به، فتزلزلتِ الأرضُ، وانشقَّتْ مِن تحتِ قدمَيه، وابتلعَتْه بمالِه وكنوزِه بعد أن أهلكَه اللهُ، وقتلَه شرَّ قِتْلةٍ، فلم ينفَعْه مالُه، ولا كِبرُه، ولا ذكاؤه، ولا قوَّتُه، ولا جاهُه، ولا غرورُه، فما كان من أحدٍ ينصُرُه ويُنْجيه من هذا العذابِ

من دونِ اللهِ تعالى، وما كان من المنتصِرين؛ بل أذلَّه اللهُ وهزمَه بشُؤمِ بَغْيِه وجبروتِه، وهذا مَثَلٌ لكلِّ مَنْ سوَّلتْ له نفسُه أن يفعلَ كما فعل قارونُ.

فلما رأى الناسُ ما فعلَه اللهُ في الظالمِ الباغي قارونَ من العذابِ المُهين ومِن الخسفِ به وبمالِه، قال المساكينُ قصارُ النظرِ الذين كانوا مغترِّين بزينتِه، وكانوا يتمنَّون أن يكونوا مثلَه: ألم تعلَمْ أن اللهَ يُوسِّعُ الرزقَ لمَن يشاءُ ويُضيِّقُه على مَن يشاءُ؛ ابتلاءً منه للغنيِّ والفقيرِ، فليس الغِنى والسَّعةُ دليلًا على الإكرام، وليس ضيقُ الرزقِ دليلًا على المهانةِ، فالغنيُّ مبتلًى بغناه، والفقيرُ مبتلًى بفقرِه، والعبرةُ بالإيمان والعملِ الصالحِ، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾} [الحجرات:١٣].

ثم قالوا: لولا أن تفضَّلَ اللهُ علينا بِمَنِّه وكرَمِه، ولم يجعَلْنا مثلَ قارونَ لخسَفَ بنا كما خسَفَ بقارونَ، وعلِمْنا أن الكافرين لا يُفلِحون؛ بل ينتقمُ اللهُ منهم، ويجعلُهم عبرةً لمَن يَعتبِر.

الفوزُ بالآخرةِ والرِّضوان لا يكونُ إلا للمتقين الذين استقاموا على منهجِ اللهِ، ولم يتعالَوا على خلقِه، ولم يُفسِدوا في الأرضِ؛ بل هم الذين قالوا: ربُّنا اللهُ، ثم استقاموا، فهؤلاءِ لهم الرِّفعةُ والعافيةُ في الدنيا والآخرةِ.

المبحث الرابع
الفوائد والدروس المستفادة

اشتملت قصةُ قارونَ في القرآنِ العظيمِ على دروسٍ وفوائدَ ومواعظَ كثيرةٍ، نذكرُ منها ما يأتي:

١ـ أن القرآنَ هو كلامُ اللهِ، وأن محمدًا هو رسولُ اللهِ ﷺ ونبيُّه المُوحَى إليه؛ إذ إنه أخبرَ بأخبارِ الأممِ السابقةِ، وما جرى لهم من العواقب، وهذا لم يكنِ النبيُّ ﷺ ولا قومُه على علمٍ بذلك، {تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۛ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾} [هود:٤٩].

٢ـ الثباتُ على الهدايةِ محضُ توفيقٍ وفضلٍ من اللهِ تعالى وحدَه، قال سبحانه وتعالى: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم:٢٧].

فقارونُ كان من قومِ موسى؛ أي: كان مسلمًا صالحًا؛ ولكِنْ لمَّا ابتلاه اللهُ بفتنةِ الدنيا، فُتِن وضلَّ، وانحرفَ عن الاستقامةِ، فكان

من الهالِكِينَ الظالمينَ الذي أضلَّهم اللهُ بِشُؤمِ الكبرِ والغرورِ والعُجبِ بالنفسِ وكفرانِ النِّعَم.

ولذلك كان أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[1]، ومن دعاءِ القرآنِ الكريمِ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾} [آل عمران:٨].

ومن أعظمِ أسبابِ الثباتِ على الهداية:

(أ) الدعاءُ واللجوءُ إلى الله بالثباتِ والحفظِ من الفتنِ والتوفيقِ الطاعةِ.

(ب) الإخلاصُ للهِ في القولِ والعملِ، فلا يثبُتُ ولا ينجو إلا المخلصون.

---

[1] أخرجه أحمد (٢٦٥٧٦)، والترمذي (٢١٤٠)، وصححه الألباني.

(جـ) صحبةُ الصالحين، وملازمةُ أهلِ العلم؛ فقارونُ لمَّا ترك موسى وانحرفَ عن صُحبتِه ونهجِه وبَغَى على قومِه أزاغ اللهُ قلبَه، وأضَلَّه حتى أهلكَه.

٣ـ الهدايةُ لا يملِكُها مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ:

فلا يملِكُ الهدايةَ إلا اللهُ؛ فموسى عليه السلام لم يملِكْ الهدايةَ لقارونَ الذي كان مِن قومِه وابنَ عمِّه على قولِ جمهورِ العلماءِ، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦} [القصص:٥٦].

وقال تعالى: {وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧} [الزمر:٣٦].

ونوحٌ عليه السلام لم يملِكْ الهدايةَ لولدِه بعد إذْ أضلَّه اللهُ لِخُبثِ قلبِ ابنِه، ولوطٌ ونوحٌ عليهما السلام لم يملِكا الهدايةَ لزوجَيْهِما بعد إذ أضلَّهما اللهُ لِخُبثِ قلبَيهِما، وإبراهيمُ عليه السلام لم يملِكْ الهدايةَ لأبيه؛ لِنجاسةِ ظاهرِه وباطنِه.

والنبيُّ محمدٌ ﷺ لم يملِكْ الهدايةَ لِعمِّه أبي طالبٍ مع أنه كان يحوطُه وينصُرُه، وقد حاول النبيُّ ﷺ معه طيلةَ حياتِه وحتى في سَكَراتِ الموتِ، كان يقولُ له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فيقولُ أبو جهلٍ وعبدُ اللهِ بنُ أبي أُميةَ: يا أبا طالبٍ، أترغبُ عَنْ مِلَّةِ عبدِ المطَّلبِ؟ فلمْ يزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يَعرِضُها عليهِ، وَيَعُودانِ بتلكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمهم: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»[1].

فحزِنَ النبيُّ ﷺ عليه، وظل ﷺ يستغفِرُ له، حتى نهاه اللهُ تعالى، وقال له: {إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦} [القصص:٥٦].

ونهاه اللهُ عنِ الاستغفارِ لِعمِّه؛ لأنه ماتَ على الشِّركِ، فقال سبحانه: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ

---

[1] أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة:١١٣].

٤ـ القرابةُ لا تنفعُ عند الله، وإنما الذي ينفعُ هو الإيمانُ والعملُ الصالحُ الخالصُ: فقارونُ كان من قومِ موسى عليه السلام؛ أي: مِن بني إسرائيلَ الذين اصطفاهم اللهُ في زمَنِهم على غيرِهم مِن العالَمين، وكان ابنَ عمِّ نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام على قولِ أكثرِ العلماء، ومع ذلك لم تنفَعْه قرابتُه من موسى عليه السلام، لمَّا ظلَمَه وبغى وكفرَ النعمةَ أهلكَه اللهُ، وخسَف به وبمالِه الأرضَ، وجعلَه عبرةً لِمَن يَعتبِرُ.

وهذا هو الذي قرَّره اللهُ في القرآنِ العظيمِ، ألَا وهو مبدأُ المسؤوليةِ الفرديةِ، كلُّ إنسانٍ يُسأَل عن عملِه، ويُحاسَبُ عليه، قال اللهُ تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾} [الأنعام:١٦٤].

وقال سبحانه: {فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون:١٠١]، وقال سبحانه: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾} [الانفطار:١٩].

وقد قال النبيُّ ﷺ لِقرابتِه: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[١]، وقال ﷺ: «فَلَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ، وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ، فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ هَكَذَا وَهَكَذَا: لَا»[٢]. وقال ﷺ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[٣].

٥- في قصةِ قارونَ أعظمُ تسليةٍ لكلِّ مَنْ أُوذِيَ مِن أهلِه وقرابتِه:

فهذا قارونُ كان من قومِ موسى عليه السلام، ثم لمَّا فتحَ اللهُ عليه النِّعمَ، ووسَّعَ عليه، بغى على قومِه، وظلَمَهم بمنعِ حقِّ اللهِ عنهم، والتكبرِ عليهم، وغير ذلك.

وكثيرًا ما يُؤذَى الإنسانُ من أهلِه وأقاربِه، كما حصل للأنبياءِ والرُّسُلِ، وعلى رأسِهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ الذي آذاه عمُّه أبو لهبٍ وامرأتُه أمُّ جميلٍ وأبو جهلٍ، وهم من أهلِه وقرابتِه.

---

[١] أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

[٢] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٩٧)، وحسَّنه الألباني.

[٣] أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

٦ـ من أعظمِ أسبابِ البغي والظلمِ والفسادِ والكبرِ والعُجبِ والغرورِ: الغِنى والتَّرَفُ وسَعةُ الأرزاقِ الدنيوية:

فالواجبُ على العبدِ أن يشكرَ اللهَ على النعمِ بأداءِ حقِّ اللهِ فيها واستعمالِها في مرضاةِ اللهِ ونسبةِ الفضلِ فيها إلى الله؛ ولكنْ كما قال اللهُ تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ:١٣]، قَلَّ مَنْ يشكرُ اللهَ، ويفعلُ ذلك، فأكثرُ الناسِ لا يَشكُرون اللهَ على نِعمِهِ، كما قال اللهُ تعالى: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾} [العاديات:٦]؛ أي: جَحودٌ لِنِعَمِ ربِّه عليه.

ولذلك إذا نظَرْنا إلى الواقعِ والتاريخِ نجدُ أنَّ أكثرَ الذين فتح اللهُ عليهِمُ الدنيا بَغَوا وعصَوا، وأفسدوا في الأرضِ، ومن ذلك على سبيلِ المثالِ:

* صاحبُ الجنَّتينِ المذكورُ في سورة الكهفِ الذي اغترَّ بالنِّعَمِ، وتكبَّرَ بها، وقال لصاحِبِه: أنا أكثرُ منك مالًا وأعزُّ نفرًا: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا

مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾} [الكهف:٣٥-٤٣].

* أهلُ سبأٍ الذين وسَّعَ اللهُ عليهم الدنيا حتى إنهم كانوا يعيشون في رغدِ العيشِ ونعيمِ جناتِ الدنيا، وقرَّب اللهُ لهم المسافاتِ، وأسبَغَ عليهِم نعمةَ الأمنِ والأمانِ؛ لكنهم بغَوا وطغَوا وأفسدوا، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾

ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾} [سبأ:١٥-١٧].

* أصحابُ الجنةِ في سورةِ القلمِ الذين أنعم اللهُ عليهِم بألوانِ الثمارِ والنعمِ، فبَغَوا وقالوا: {أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ } [القلم:٢٤]، فعاقَبَهم اللهُ تعالى على مَنْعِهم وظُلمِهم، فقال: {فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾}.

* ما ورد في قصة الأبرصِ والأعمى والأقرعِ؛ كانوا فقراءَ وأصحابَ عِلَلٍ، فشفاهم اللهُ ووسَّعَ عليهِم بأصنافِ المالِ، ولكنَّ الأبرصَ والأقرعَ كفرا النعمةَ، وكَذَبا، ولم يؤدِّيَا حقَّ اللهِ فيها، وقال كلٌّ منهما: لقد وَرِثْتُه كابرًا عن كابرٍ، ولم يُعطِيا المُحتاجَ الفقيرَ وابنَ السبيلِ وقالا: الحقوقُ كثيرةٌ. فبخِلا وكَذَبا، ونسَبوا الفضلَ لأنفسِهم، فأزال اللهُ عنهم النعمَ.

وأما الأعمى فقد نجح في الاختبارِ ونسبَ الفضلَ إلى اللهِ وحده، وقال للسائلِ: خُذْ ما يكفيك، أو نحوَ ذلك، فبارَك اللهُ له في مالِه، وزادَه مِن فضلِه.

* وفي قصةِ أصحابِ الغار الثلاثةِ كان أحدُهم غنيًّا ثريًّا، فلما ضاق الحال بابنةِ عمِّه وجاءت تسألُه المالَ والمعونةَ راوَدَها عن نفسِها، ومِن شِدةِ الضيقِ رضَخَتِ المرأةُ- لولا أن اللهَ سلَّمَ- وقالت له: اتقِّ اللهَ، ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه! فارتعدَ الرجلُ خوفًا منَ اللهِ، وتركَها وأعطاها للهِ تعالى، ففرَّجَ اللهُ عنه كَرْبَه بسببِ رجوعِه عن المعصيةِ وخوفِه من اللهِ، وأعطى المرأةَ من المالِ ما تحتاجُه لِسَدِّ حاجتِها.

والشاهدُ أن الذي دفعَ هذا الرجلَ للشروعِ في الفاحشةِ هو الثراءُ والغِنى.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ للصحابة حينما جاءهم أبو عبيدةَ بمالٍ مِنَ البحرين، وفَرِحوا به: «**أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا**

يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[(١)].

قال الله تعالى: {كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧} [العلق:٦-٧]؛ فالغِنى غالبًا ما يكونُ سببَ الطغيانِ والعِصيانِ.

وقال اللهُ عن التَّرَفِ والمترفين: {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۝١٦} [الإسراء:١٦]؛ أي: أمرناهم بالطاعةِ، ففسقوا فيها بالمعاصي؛ بسببِ الغِنى والتَّرَفِ الذي هم فيه.

ولم يُذكَرِ التَّرفُ في القرآنِ إلا في موضعِ الذمِّ، فالمُترَفون هم في الغالبِ أعداءُ الرسلِ، وهم المُكذِّبون والعصاةُ، قال تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤} [سبأ:٣٤]، وقال سبحانه: {وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ

[(١)] أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾} [الزخرف:٢٣]، وقال سبحانه: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾} [المؤمنون:٣٣].

وقال سبحانه: {وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾} [هود:١١٦].

وأكثرُ نزولِ العذابِ على المُترَفين؛ قال تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾} [المؤمنون:٦٤-٦٥].

٧- الفرح فرحان: محمودٌ، مذمومٌ:

أ- الفرحُ المحمودُ: هو الفرحُ بالإسلامِ والقرآنِ والسُّنةِ والتوفيقِ والطاعةِ وإخلاصِ العبوديةِ للهِ ونصرِ المؤمنين على الكافرين، وصلاحِ حالِ الأمةِ، وفرحُ الشهداءِ بنعيمِ القبرِ ونعيمِ الآخرةِ، قال الله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾} [يونس:٥٨]، وفضلُ اللهِ هو الإسلامُ، ورحمتُه هي القرآنُ والسُّنةُ ونبيُّ الأمة.

وقال سبحانه: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾} [الروم:٤-٥].

وقال سبحانه في حق الشهداء: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ

ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾} [آل عمران:١٦٩-١٧٢].

ب- **والفرحُ المذمومُ:** هو الفرحُ بالباطلِ، بالكفرِ والشركِ والبدعةِ والمعصيةِ، كما قال اللهُ في حقِّ قارونَ حين قال له قومُه: {لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾} [القصص:٧٦]، وكما قال سبحانه في حقِّ المجرمين: {ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾} [غافر:٧٥].

والفرحُ هنا هو البَطَرُ والعُجْبُ والغرورُ والاغترارُ بالمعاصي، وهذا الفرحُ هو الذي لا يحِبُّه اللهُ، ولا يحِبُّ أهلَه.

٨- وجوبُ استخدامِ ما وهب اللهُ من النِّعمِ في طاعةِ اللهِ ومَرْضاتِه والفوزِ بجناتِه في الدار الآخرة:

وهذا هو الذي خلق اللهُ العبادَ لِأجلِه، قال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات:٥٦].

ولذلك قال قومُ قارونَ الناصحون له: {وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ}؛ أي: اطلُبِ الجنةَ بما وهبك اللهُ من النعمِ، فتصدَّقْ

وأنفِقْ على الفقراءِ والمساكينِ والأراملِ وذوي الحاجاتِ وعتقِ الرِّقابِ، وفي مصارفِ الجهادِ وأعمالِ البرِ والإحسان؛ لأن هذا المالَ ابتلاءٌ من اللهِ لك، وقد استخلفَكَ اللهُ فيه، فإنْ أحسَنْتَ فيه كما أمر اللهُ فُزتَ بِخَيرَي الدنيا والآخرةِ.

٩- الدنيا مزرعةٌ للآخرةِ، بالإيمانِ بالله والعملِ الصالحِ الخالصِ للهِ ربِّ العالمين:

قال الصالحون لقارونَ الفاسدِ ناصحين إياه: {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ}؛ أي: ما خلقك اللهُ في الدنيا إلا لِتحوزَ نصيبَك فيها من العملِ الصالحِ الخالصِ؛ لتفوزَ بخيرَي الدنيا والآخرة، وكذلك لا تنسَ نصيبَك من الدنيا بالاستمتاعِ بالطيباتِ من المآكِلِ والمشارِبِ والمساكِنِ والملابِسِ والمناكِحِ التي أحلَّها اللهُ لك تقرُّبًا إلى اللهِ، واستِعفافًا بها عن المحرَّمات، فإن اللهَ يحبُّ أن يرى أثرَ نِعمتِه على عبدِه، من غيرِ سَرَفٍ ولا مَخيلةٍ، قال تعالى: {قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ

هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف:٣٢].

واعلَمْ يا قارونُ أنك في نهايةِ المطافِ في هذه الدنيا لن تخرجَ منها إلا بالكفنِ الذي يستُرُ عورتَك، فلن تأخذَ من مالِك شيئًا عند الموتِ، فلا تضيِّعْ نفسَك وتخسَرِ الدنيا والآخرةَ.

١٠- وجوب الإحسان فيما بين العبد وربِّه، وإلى خلق الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال النبيُّ ﷺ عن معنى الإحسانِ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)].

ولذلك قال الناصحون لقارونَ الباغي: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾؛ أي: أطِعْ ربَّك واعبُدْه كما أنعَمَ عليك بصنوفِ النِّعَمِ، وأحسِنْ إلى خلقِه، فالإحسانُ ليس له جزاءٌ إلا الإحسانُ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن:٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

هذا يشملُ الإحسانَ إلى الناسِ كافةً، والي الوالدَينِ خاصةً: {وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا}، وبالجيرانِ؛ «وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا»[١]، وقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»[٢]، وإلى عمومِ الأرحامِ؛ بل وإلى الحيوانِ والطيرِ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[٣].

إحسانٌ حتى في الذبحِ وقتلِ المأذونِ بقتلِه.

وإحسانٌ إلى الأزواجِ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[٤].

وإحسانٌ إلى الأولادِ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۝٦} [التحريم:٦].

وقال ﷺ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»[١].

---

[١] أخرجه أحمد (٨٠٩٥)، والترمذي (٢٣٠٥)، وحسَّنه الألباني.

[٢] أخرجه مسلم (٤٨).

[٣] أخرجه مسلم (١٩٥٥).

[٤] أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[٢].

بل الإحسانُ إلى غيرِ المسلمِ: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة:٨].

والإحسانُ في أصلِ لغةِ العربِ ضدُّ الإساءةِ.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٣]؛ أي: أن المسلمَ المحسنَ الحقَّ هو الذي لا يُسِيءُ إلى الناسِ، ويسلَمُ الناسُ من شرِّه.

قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾} [الذاريات:١٥-١٩].

---

[١] أخرجه البخاري (٢٥٨٧).

[٢] أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

[٣] أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

فهؤلاءِ أحسَنوا فيما بينهم وبين اللهِ بأداءِ حقِّ اللهِ في العبادةِ، وأحسَنوا إلى خَلقِه بما أنعَمَ عليهم من صنوفِ الأرزاقِ والأموالِ، فكانوا عند ربِّهم في جناتٍ وعيونٍ، وأحسَنَ اللهُ إليهِم.

١١- وجوب اجتناب المعاصي وجميعِ وسائلِ الفسادِ وما يُقرِّبُ إليها:

قال الناصحون للفاسدِ المُفسِدِ قارونَ: {وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧} [القصص:٧٧].

فالإفسادُ في الأرض صفةُ الكفارِ والمنافقين؛ لِقولِ اللهِ تعالى عن أهل النِّفاقِ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢} [البقرة:١١-١٢].

والفسادُ ضِدُّ الإصلاحِ، وهو خروجُ الشيءِ عن الاعتدالِ، فكلُّ اعتداءٍ على الدينِ أو العقلِ أو النفسِ أو العِرضِ أو المالِ أو النسلِ هو إفسادٌ في الأرضِ.

ولذلك قال اللهُ تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾} [الأعراف:٥٦].

وليس هناك أعظمُ إفسادًا من نشرِ الشركِ والكفرِ والإلحادِ والزندقةِ والنفاقِ والبدعِ والمعاصي والفواحشِ ما ظهر منها وما بطنَ، وإفسادُ العقيدة، وإفسادُ التوحيد، وإفسادُ العبادةِ بالبدعِ والمُحدَثاتِ، وإفسادُ الأخلاق بنشرِ الإباحيَّاتِ والمُوبِقاتِ، وإفسادُ المعامَلاتِ بالغشِّ والرياءِ والخِداعِ في البيعِ والشراءِ والشَّراكةِ والتطفيفِ في الكيلِ والوزنِ والغلاءِ الفاحشِ ونحوِ ذلك.

قال تعالى: {ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾} [الروم:٤١]، فأهلُ الجهلِ والإلحادِ والزندقةِ يسعَون في الأرضِ فسادًا، قال اللهُ عنهم: {وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾} [البقرة:٢٠٥].

ولذلك شرعَ اللهُ تعالى عقوبةً شديدةً صارِمةً للمفسدين، فقال: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣} [المائدة:٣٣]؛ لأن آثارَ الفسادِ تكونُ على الأفرادِ والمجتمعاتِ، فمِن آثارِه **الدينيةِ** حلولُ العذابِ والنِّقَمِ محلَّ النعمِ، ومن آثارِه **الاجتماعيةِ** أنه يزرعُ الفُرقةَ والعداوةَ بين الناسِ، ومنها فِقدانُ الاستقرارِ والأمنِ.

ومِن آثارِه **الاقتصاديةِ** إهدارُ المالِ وإفسادُه، ومِن آثارِه **السياسيةِ** أنه يشجِّعُ على الفوضى و الخروجِ على النظامِ.

١٢ـ إثباتُ صفةِ المَحبةِ والكُرهِ للهِ تعالى على ما يَليقُ بجلالِه وكمالِه، وليس كحبِّ المخلوقين وكرهِهم:

حيث ذكر اللهُ الإحسانَ في قولِه: {وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ}، وقد قال اللهُ تعالى: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤} [آل عمران:١٣٤]، فأثبتَ لنفسِه سبحانه صفةَ المَحبةِ لعبادِه المُحسنِين المتَّقين على ما يَليقُ

بكمالِه وجلالِه، وهنا أيضًا قال اللهُ تعالى: {وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧} [القصص:٧٧].

فكما أنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين فهو سبحانه يُبغِضُ المفسدين، بُغضًا يليقُ بجلالِه سبحانه، لا يُشبِه بُغضَ المخلوقين بعضِهم لبعضٍ؛ لأن اللهَ تعالى {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١} [الشورى:١١].

١٣- من كفرانِ النِّعمِ نسبةُ الفضلِ إلى غيرِ اللهِ تعالى:

كمَن يَنسُبُ الفضلَ لنفسِه أو لِغيرِ اللهِ مِن المخلوقين، وهذا أيضًا من الشركِ باللهِ، قال اللهُ تعالى: {يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣} [النحل:٨٣]؛ أي: يعرفون أن اللهَ تعالى هو صاحبُ الفضلِ ومُسدِي النِّعَمِ، ومع ذلك ينسُبُونَ الفضلَ لغيرِه، وهذا مِن الكفرِ باللهِ تعالى، مع أنه وحدَه الخالقُ الرزَّاقُ الوهَّابُ.

وهنا قال قارونُ عن المالِ والنِّعمِ التي ابتلاه اللهُ بها واستخلفَه عليها: {قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ}؛ أي: بِخِبْرَتِي ومهارَاتي ومعرِفَتي وعِلمي بالتجاراتِ التي تُدِرُّ دخلًا كبيرًا.

وعن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ ﷺ قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قَالُوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»[1].

وذلك لأن الناسَ في الجاهليةِ كانوا يعتقِدون أن النجومَ سببٌ في نزولِ المطرِ حقيقةً، ويقولون: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا، والنَّوءُ مَنزِلُ القمرِ، فمَن نَسَب الأمطارَ وغيرَها من الحوادثِ الأرضيةِ إلى

---

[1] أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

تحركاتِ الكواكبِ في طلوعِها وسقوطِها معتقِدًا أنها الفاعلُ الحقيقيُّ، فهو كافرٌ مشركٌ في توحيدِ الربوبية.

وأما مَنِ اعتقدَ أن الفاعلَ هو اللهُ وحدَه، وقد جعل ظهورَ هذا النَّوْءِ سببًا لنزولِ المطرِ بقدرتِه سبحانه وتقديرِه وفضلِه ورحمتِه فهذا موحِّدٌ شاكرٌ، وقد يجعلُ اللهُ النوءَ سببًا أولًا حسبَ مشيئتِه وقدرتِه.

ومن مظاهرِ كفرِ النعمةِ ما يلي:

(١) نسبةُ الفضلِ فيها لغيرِ اللهِ كما مضى ذِكرُه.

(٢) عدم أداءِ حقِّ اللهِ فيها كما أَمَر.

(٣) تسخيرُها في معصيةِ اللهِ تعالى.

(٤) عدمُ شكرِ اللهِ عليها بالجحودِ والنكرانِ والعُجبِ بالنفسِ.

١٤ـ جزاءُ كفرانِ النِّعَمِ:

قال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم:٧].

كفرانُ النعمِ يتبَعُه زوالُها وتعذيبُ كافِرِها.

وكان النبيُّ ﷺ يستعيذُ باللهِ من زوالِ النعمةِ وتحوُّلِ العافيةِ فيقولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»[(١)].

وكان الإمامُ المبارَكُ عبدُ اللهِ بنُ المبارَكِ يقول:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ❊ فَإِنَّ الذُّنوبَ تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ❊ فَرَبُّ العِبادِ سَرِيعِ النِّقَمْ

وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ❊ فَظُلْمُ الْعِبادِ شَدِيدُ الوَخَمْ

وَسَافِرْ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى ❊ لِتَنْظُرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمْ

❊ فقارونُ لمَّا كفرَ النِّعَمَ بنسبةِ الفضلِ لنفسِه وعلمِه قال الله عنه: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ}.

❊ وأصحابُ الجنة لمَّا كفروا النِّعَمَ بمنعِ حقِّ الفقيرِ والمسكينِ قال الله تعالى: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾} [القلم:١٩-٢٠]، وقال: {كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾} [القلم:٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

* وأهلُ سبأٍ لما كفروا النعمةَ باستعمالِها بالمعاصي والإعراضِ عن شريعةِ الله، قال الله تعالى: {فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧} [سبأ:١٦-١٧].

* وصاحبُ الجنةِ لما كفرَ النعمةَ وأصابَه العُجْبُ والغرورُ والكبرُ والشِّركُ قال اللهُ عنه: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ٤٣} [الكهف:٤٢-٤٣]،

وقال سبحانه عن كُفْرانِ النِّعَمِ: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢} [النحل:١١٢]؛ وقال: {وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦} [الأعراف:٩٦].

١٥ـ وجوبُ الاعتبارِ بمصارعِ الظالمين وعاقبةِ المتقين:

فاللهُ جلَّ وعلا ذكَرَ قصةَ قارونَ لِتنبيهِ الأمةِ أنَّ مَن فعلَ مثلَ قارونَ سيجِدُ عقابَه كما عُوقِب قارونُ.

{فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢} [الحشر:٢]، وقال سبحانه: {وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١} [الذاريات:٢١].

{كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١} [آل عمران:١١].

وفي هذا بيانُ الاعتبار، مَن كذَّبَ بآياتِ اللهِ أخذه اللهُ بذنبِه وعذَّبَه العذابَ الشديدَ.

وقال عن قومِ نوحٍ: {فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ۝١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٢١} [الشعراء:١١٩-١٢١].

وقال عن قومِ عادٍ لمَّا كذَّبوا هودًا: {فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩} [الشعراء:١٣٩].

وقال عن قومِ ثمودَ لما كذَّبوا صالحًا: {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾} [الشعراء:١٥٧-١٥٨].

وقال عن لوطٍ وقومِه: {فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾} [الشعراء:١٧٠-١٧٤].

وبعد أن ذكر اللهُ قومَ إبراهيمَ وتكذيبَهم له، وقومَ لوطٍ وفجورَهم وعادًا وثمودَ وقارونَ وفرعونَ وهامانَ وكُفرَهم جميعًا باللهِ ونِعمِه، قال اللهُ عنهم في سورةِ العنكبوتِ: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت:٤٠].

وقال سبحانه: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ ﴿٤٢﴾} [إبراهيم:٤٢].

ولذلك قال اللهُ عن قارونَ الفاسدِ الخاسِرِ: {أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿٧٨﴾} [القصص:٧٨]؛ لكنه لم يعتبِرْ ولم يتَّعِظْ مع علمِه بعواقِبِ الظالمين من القرونِ قبلَه، وكانوا أغنى منه وأكثرَ أموالًا وأولادًا وجنودًا وعَتادًا، وقد أهلكَهم اللهُ بِشُؤمِ كفرِهم وذنوبِهم.

١٦ـ عاقبة الشاكرين وجزاء شكران النِّعم:

فهمنا من قصةِ قارونَ أن كافرَ النعمةِ له من اللهِ العذابُ الشديدُ بزوالِ النعمِ وغيرِها من العقوباتِ كالخسفِ ونحوِه.

فدل ذلك على أن شاكرَ النعمةِ الذي يشكُرُ اللهَ عليها، ويُثني عليه، ويحمَدُه ويُمجِّدُه، وينسُبُ الفضلَ إلى اللهِ وحدَه، ويؤدي حقَّ اللهِ فيها، ولا يستعمِلُها في معاصي اللهِ تعالى، ويُقِرُّ بعبوديَّتِه وافتقارِه وخضوعِه وذُلِّه للهِ ورضاه وسعادتِه بما قسمَ اللهُ: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}، ودل ما سبق من الأدلة على عواقبِ ومصارعِ الظالمين الكافرين المُعرِضين وعلى حُسنِ عاقبةِ المتقين الشاكرين، كما قال تعالى: {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾} [الأعراف:١٢٨]،

وقال تعالى: {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾} [طه:١٣٢]، وقال تعالى: {هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾} [الرحمن:٦٠] ، وقال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾} [يونس:٢٦].

والحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ، كما ثبت به الحديثُ عن نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

١٧ـ إهانة المجرمين في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ}؛ أي: لا يُسألُ المجرمون عن ذنوبِهم في القيامةِ، وإنما يدخلون النارَ بغيرِ حسابٍ، كما قال سبحانه: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾} [الزمر:٧١-٧٢].

تَفتَحُ لهم زبانيةُ جهنمَ أبوابَ جهنمَ السبعةَ، تزُجُّهم فيها، وتزجُرُهم وتؤنِّبُهم، وتقولُ لهم: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾}، وقال اللهُ تعالى: {يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾} [الرحمن:٤١]، فالملائكةُ تعرِفُهم بِسِيماهم، فلا تَسأَلُ عنهم، ولا تحتاجُ أن تسألَ لمعرفتِهم؛ فعَلَيهِم سِيماءُ الذلةِ والمَهانةِ والخِزيِ والعارِ والندامةِ.

وقال سبحانه: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾} [الحجرات:١٣]؛ فدلَّ ذلك على أنَّ المجرمَ مُهانٌ عند اللهِ في الدنيا والآخرةِ، وقال اللهُ: {وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾} [الحج:١٨].

www.alukah.net

١٨- ذَمُّ الكِبرِ والمتكبِّرين:

أخبَرَ اللهُ عن قارونَ أنه خرج على قومِه في زينتِه؛ أي: في تجمُّلٍ باهرٍ من مراكبَ وملابسَ وزينةٍ ظاهرةٍ، خرج عليهم بالخدم والحشمِ على وجهِ الكبرِ والخُيَلاءِ والغرور والعُجبِ بالنفسِ وفي سَرَفٍ ومخيلةٍ.

وقد ذمَّ اللهُ الكِبرَ والمتكبرين، فقال: {إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾} [النحل:٢٣]، وقال: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾} [لقمان:١٨]، وقال تعالى: {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾} [الزمر:٦٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[١].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**»[٢]، وقال سبحانه وتعالى: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (٩١).

[٢] أخرجه أحمد (٧٠١٥).

١٩ـ مدح التواضعِ والمتواضعين:

ذمُّ الكبرِ وتحريمُه نقيضُ مدحِ التواضعِ وأهلِه، ولذلك قال اللهُ للنبيِّ ﷺ: {وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨} [الحجر:٨٨]؛ أي: تواضَعْ لهم، وقال في حقِّ الوالِدَينِ على الولدِ: {وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤} [الإسراء:٢٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[٣].

٢٠ـ الزينةُ زينتان مباحةٌ ومحرَّمة:

١ـ فالزينة المباحةُ: هي التي أمرَ اللهُ بها وحثَّ عليها؛ فاللهُ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، قال تعالى: {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ

---

[١] أخرجه أحمد (٩٣٥٩)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وصححه الألباني.

[٢] أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

[٣] أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾} [الأعراف:٣١]، فالتزيُّنُ بما أحلَّ اللهُ- من غيرِ إسرافٍ ولا اختيال- مشروعٌ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ**»[١].

ولما نهى النبيُّ ﷺ عنِ الكِبر، قال رجلٌ: إن الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسنةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٢].

ولما رأى النبيُّ ﷺ رجلًا رثَّ الهيئةِ قال له: «**هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟**». فَقُلْتُ: قَدْ أَعْطَانِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ مِنْ كلِّ المالِ مِنَ الإِبِلِ وَالغَنَمِ. قَالَ: «**فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ**»[٣].

---

[١] أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وحسَّنه الألباني.

[٢] أخرجه مسلم (٩١).

[٣] أخرجه أحمد (١٧٢٣١)، وأبو داود (٤٠٦٣)، وصححه الألباني.

٢ـ الزينة المحرَّمة: هي التي نهى اللهُ عنها ورسولُه، وما كان منها في سرفٍ ومَخيلة، كقارونَ الذي خرج في زينتِه مختالًا فخورًا، مُعجَبًا بنفسِه متكبرًا باغيًا.

كذلك ما كان منها فيه تشبُّهٌ بالكفارِ والفُسَّاق، قال النبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[١]، وقال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى**»[٢].

قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**خَالِفُوا المُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**»[٣].

وكذلك ما كان فيه منها ضررٌ على الإنسانِ؛ لقولِه تعالى: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ}، وقولِ النبيِّ ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[٤].

---

[١] أخرجه أحمد (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

[٢] أخرجه الترمذي (٢٦٩٥)، وحسَّنه الألباني.

[٣] أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩).

[٤] أخرجه أحمد (٢٨٦٥)، وأخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠)، وصححه الألباني.

كذلك ما كان فيه تشبُّهُ النساءِ بالرجالِ أو الرجالِ بالنساءِ؛ لحديثِ ابنِ عباسٍ ﷺ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[١].

وكذلك ما كان فيه تغييرٌ لخلقِ اللهِ؛ لأن هذا من عملِ الشيطانِ الذي قال اللهُ تعالى فيه: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾} [النساء:١١٩].

وعن ابنِ مسعودٍ: «**لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ تَعَالَى**»[٢].

وكذلك ما كان منها فيه غِشٌّ وتدليسٌ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

---

[١] أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

[٢] أخرجه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥).

عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ رحمه الله قال: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه الْمَدِينَةَ فَخَطَبَنَا، وَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْيَهُودَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَلَغَهُ، فَسَمَّاهُ **الزُّورَ**»[(١)].

وكذلك من الزينةِ المحرَّمةِ ما كان منها محرَّمًا، كَتَزيُّنِ الرجالِ بالذهبِ، وتزَيُّنِ النساءِ بالوشمِ والنَّمصِ والوصلِ والقشرِ ونحوِ ذلك، أو بالملابسِ الضيِّقةِ والمخالفةِ للشرعِ.

٢١ـ اغترارُ العوامِّ والجُهَّالِ بالمظاهرِ الخَدَّاعةِ وزينةِ الدنيا:

لمَّا خرج قارونُ على قومِه في حشَمِه وخدَمِه ومراكبِه وملابسِه البرَّاقةِ، نظر إليه طلابُ الدنيا المخدوعون نظرةَ انبهارٍ وإعجابٍ، فتمنَّوا أن يكونوا مثلَه، وهكذا نظرةُ الجاهلِ المُنهمِكِ في طلبِ الدنيا وحبِّها: {يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩} [القصص:٧٩].

وهذا حالُ أكثرِ الناسِ يغترُّون بظاهرِ الناسِ وزينتِهم الظاهرةِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنه قَالَ: مَرَّ رجلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٧).

www.alukah.net

فقالَ لِرجلٍ عِندَه جَالِسٍ: «**مَا رأيُكَ فِي هَذَا؟**». فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**»؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَّا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَلَّا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[1].

فالميزانُ عند أكثرِ الناسِ بالمالِ والجاهِ والسلطانِ، أما عند اللهِ فبالتقوى والعملِ الصالحِ، فعوامُ الناسِ فخَّموا من أمرِ الغَنِيِّ وشأنِه لِغِناه، وحقَّروا من شأنِ الفقيرِ لفقرِه، وهذا نظرُ القاصِرين.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[2].

---

[1] أخرجه البخاري (٦٤٤٧).

[2] أخرجه مسلم (٢٦٢٢).

عن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَرْفَعَ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ**» قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا. قَالَ: فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَوْضَعَ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ**». قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَعِيفٌ عَلَيْهِ أَخْلَاقٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهَذَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُرَابِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا**»[(١)].

٢٢ـ فضل العلم وأهله:

العلماءُ هم ورثةُ الأنبياءِ في العلم النافعِ والعملِ الصالح، قال اللهُ تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩} [الزمر:٩]، فهناك فرقٌ بين العوامِّ وأهلِ العلم، فالعاميُّ مأخوذٌ من العَمى، وأما العالِمُ فمأخوذٌ من العلمِ، وما سُمِّيَ الرجلُ عالمًا أو طالبَ علمٍ إلا لبركةِ العلم، فالعلماءُ هم النورُ الذي يستضيئُ به الناسُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٤٩٣).

ودائمًا تجدُ العوامَّ في وادٍ، وأهلَ العلمِ في وادٍ آخرَ، فالعوامُّ وطلابُ الدنيا لمَّا رأَوْا قارونَ في زينتِه تمنَّوا أن يكونوا مكانَه، وأما العلماءُ فإنهم رأَوْا زينةً زائفةً سَرْعانَ ما تزول، وما عند اللهِ خيرٌ للأبرار، ولم يغترُّوا ولم ينبهِروا بها، فقالوا للعوامِّ: ويلَكم، لا تغترُّوا بهذه الزخارفِ التي حَمَلت صاحبَها على الكِبْرِ والبَغْي؛ فالدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا، الدنيا ليست دارَ مَقرٍّ لأحدٍ؛ بل هي فانيةٌ سَرعانَ ما تزولُ، فتزوَّدوا منها للآخرةِ بالإيمانِ باللهِ والعملِ الصالحِ لكي تفوزَوا بالجنةِ التي لا ينالُها إلا الصابِرون على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

وبعد ذلك لما خسف اللهُ الأرضَ بقارونَ ودارِه وأموالِه، قال العوامُّ والجهالُ وطلابُ الدنيا الذين كانوا يتمنَّون مكانَه بالأمس: {لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾} [القصص:٨٢].

وهكذا الفتنةُ إذا أقبلتْ عرَفها العلماءُ، وإذا أدبرتْ عرَفها العوامُّ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»[(١)].

قال اللهُ سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩} [الزمر:٩].

٢٣ـ فضلُ الصبرِ بأنواعِه:

الصبرُ مثلُ اسْمِه، مرٌّ مَذاقُه؛ لكِنْ عواقبُه أحلى من العسلِ.

والصبرُ ثلاثةُ أقسامٍ: صبرٌ على طاعةِ اللهِ، وصبرٌ عن معصيةِ اللهِ، وصبرٌ على أقدارِ اللهِ المؤلِمة، وقد بيَّن اللهُ فضلَ الصابرين وفضلَ الصبرِ، فقال: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠} [الزمر:١٠]، وقال سبحانه: {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧} [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وقال سبحانه: {وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢}

[(١)] أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني.

[الإنسان:١٢]، وقال سبحانه: {وَٱصۡبِرُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦} [الأنفال:٤٦]، وقال النبيُّ ﷺ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[١].

فالصابرُ ينالُ مَعِيَّةَ اللهِ ومعونتَه في الدنيا والآخرةِ، وينالُ عظيمَ الأجرِ والثوابِ في الدنيا والآخرةِ؛ بل يُوفَّى أجرَه منَ اللهِ تعالى بغيرِ حسابٍ.

وقال النبيُّ ﷺ للمرأةِ المريضةِ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ[٢].

فدلَّ ذلك على أن الصبرَ ليس له جزاءٌ إلا الجنة.

وسِرُّ السعادةِ في هذه الحياةِ هو الرضا بما قسمَ اللهُ والصبرُ على أقدارِ اللهِ وعلى طاعةِ اللهِ وعن معصيةِ اللهِ.

---

[١] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٨٦٦).

[٢] أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

٢٤ـ الغِنى وسَعَةُ الأرزاقِ ليست دليلًا على محبةِ اللهِ للعبدِ ولا رِضاه عليه في كلِّ الأحوال:

فأحيانًا يوسِّعُ اللهُ على عبدِه لِصلاحِه وتقواه؛ لقولِه سبحانه وتعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾} [الأعراف:٩٦]، وقولِه سبحانه: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق:٢-٣]، وأحيانًا أخرى يكونُ هذا الغِنى وسَعةُ الأرزاقِ استدراجًا من اللهِ للعبدِ، فيغترُّ بنِعمِ اللهِ عليه، ويزدادُ طغيانًا وكِبْرًا وكُفرًا، فيستحِقُّ العقوبةَ المُقدَّرةَ كما جرى لقارونَ في هذه القصةِ: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ}، وكما جرى لفرعونَ وجنودِه، وقومِ عادٍ وثمودَ ولوطٍ وأصحابِ الأيكةِ وقومِ شعيبٍ، ومِنْ قبلِهم قومُ نوحٍ.

ولذلك قال اللهُ تعالى: {فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا} [الفجر:١٥-١٧].

يعتقدُ أكثرُ الناسِ أن الغِنى وسَعةَ الرزقِ إكرامٌ للعبدِ، وأن الفقرَ إهانةٌ للعبد، فقال اللهُ: {كَلَّا}؛ أي: ليس الأمرُ كذلك، فالغِنى ابتلاءٌ ،كما أن الفقرَ ابتلاءٌ، والعبرةُ بالصبرِ على البلاءِ، والنجاحِ فيه، والنجاةِ منه، فالغَنيُّ إذا شكرَ وأدَّى حقَّ اللهِ في النعمِ، ولم يعصِ اللهَ فيها، فقد نجا، والفقيرُ إذا صبرَ وحمِدَ اللهَ على كل حالٍ فقد نجا.

أما الغَنيُّ الفاجرُ الذي كفرَ النعمةَ بعدمِ أداءِ حقِّ اللهِ فيها والبخلِ بها على خلقِ اللهِ واستعمالِها في معاصيه أو نسبةِ الفضلِ فيها لنفسِه فهذا قد هَلَك. والفقيرُ إذا تسخَّطَ على قَدَرِ اللهِ ولم يصبِرْ، ولم يَحمَدِ اللهَ، فقد هلك.

فاللهمَّ اجعَلْنا من عبادِك الشاكرين الصابرين الفائزين بخيرَي الدارَينِ!

قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ، لَمْ يُفْلِتْهُ**»[1]، وقال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ**

---

[1] أخرجه ابن ماجه (٤٠١٨)، وصححه الألباني.

فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ»[1]، وقال سبحانه: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦} [المؤمنون:٥٥-٥٦]، وقال سبحانه: {أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦} [الشعراء:٢٠٥-٢٠٦].

وهذا من جنسِ ما حدَثَ لقارونَ الخاسرِ؛ فقد وسَّعَ اللهُ عليه وأمهَلَه، فكفرَ النِّعمةَ وبغى، فخسَفَ اللهُ به وبدارِه الأرضَ، {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧} [ق:٣٧].

٢٥ـ الخسفُ عقوبةٌ ربانيةٌ، يعاقبُ اللهُ بها من يشاءُ من عبادِه:

فقد ورد في القرآنِ والسُّنةِ أن اللهَ تعالى خسفَ بأقوامٍ، وقد جاء التهديدُ به في القرآن في عدةِ آيات، منها قولُه تعالى: {ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦} [الملك:١٦]، والمَوْرُ: هو الحركةُ والاضطرابُ، وهو ما تُحدِثُه الأرضُ من زلزلةٍ

[1] القضاء والقدر للبيهقي (١/ ٢٤٢).

بأمرِ اللهِ تعالى، وفي ذلك دليلٌ على عظيمِ قدرةِ اللهِ في تحريكِ الأرضِ وإسكانِها.

وقد جعله اللهُ من علاماتِ قربِ القيامةِ، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ**»[1]؛ بل هو مِن علاماتِ الساعةِ الكبرى؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[2].

وأخبرَ سبحانه أنه عذَّب قومًا وعاقبَهم بالخسفِ ومن ذلك: ما ورد في قصةِ قارونَ حيث قال اللهُ تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص:٨١].

---

[1] أخرجه البخاري (١٠٣٦).

[2] أخرجه مسلم (٢٩٠١).

والرجلُ الذي امتلأَ إعجابًا بنفسِه، ولم يشكُرْ نعمةَ اللهِ عليه، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1]، وخسف اللهُ بقومِ لوطٍ، فقال تعالى: {فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾} [الحجر:٧٤]، وقال: {وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾} [النجم:٥٣-٥٥]، والائْتِفاكُ: هو الانقلابُ، ويُقال لمدائنِ قومِ لوطٍ: المُؤتفِكاتُ؛ لانقِلابِها، ثم غشَّاها حجارةً ملتهبةً: {جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾} [هود:٨٢].

وقال سبحانه: {أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾} [الإسراء:٦٨]، ومثلُه ما جرى من الخسفِ بالقرى المجاورةِ للبحارِ والمحيطاتِ

---

[1] أخرجه البخاري (٥٧٨٩).

من كثرةِ الفجورِ فيها كما حصل في إعصارِ (تسونامي) ونحوه ومدينةِ دَرنةَ بِليبيا.

قال تعالى: {قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾} [النحل:٢٦]؛ أي: أن الزلزلةَ هزَّتْ قواعِدَ البنيانِ فخَرَّ السَّقْفُ على أهلِه، وكان ذلك على غفلةٍ منهم.

وقال سبحانه: {أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾} [النحل:٤٥]، وهذا تهديدٌ لكلِّ مَن مَكَروا السيئاتِ بالخسفِ والزلزلةِ وحلولِ العذابِ عليهِم بعدَ النعيمِ.

فقال سبحانه: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [العنكبوت:٤٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[١].

ـ عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الخُبْثُ**»[٢].

وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الخَسْفُ وَالْقَذْفُ وَالْمَسْخُ**»[٣].

وعن عمرَ بنِ أبي حُصينٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ**»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤٨٥).

[٢] أخرجه الترمذي (٢١٨٥)، وصححه الألباني.

[٣] انظر: صحيح الجامع (٨١٤٩).

[٤] أخرجه الترمذي (٢٢١٢)، وصححه الألباني.

وقد تبينَ مما سبقَ أنَّ مِن أسبابِ عقوبةِ الخسفِ الزنا واللواطَ والسحاقَ والغناءَ والمعازفَ والكِبرَ والخُيَلاءَ والعُجبَ والتبرُّجَ والعُريَّ، وهذه هي معالمُ المدنيةِ الحديثةِ والتحضرِ المشؤومِ المزعوم، فقد شَرَعت دولُ أوروبا وأمريكا اللواطَ والسحاقَ باسمِ زواجِ المِثلَينِ، وصار الزنا عندهم حريةً ومتعةً شخصيةً لا غضاضةَ فيه؛ بل هو دليلٌ على التمدنِ والتحضرِ والحريةِ، وكلما خرجتِ المرأةُ من ملابسِها كلما كانت متحضرةً ناضجةً.

ومعنى الخسفِ والمسخِ والقذفِ الواردِ في الحديثِ كما يأتي:

القذف: هو الرميُ بالحجارة من السماءِ كما حصل لأصحابِ الفيلِ وقومِ لوطٍ.

والخسف: هو الزلازلُ والدمارُ وابتلاعُ الأرضِ للفاسقين.

والمسخ: مسخٌ حِسِّيٌ حقيقيٌّ، كما مُسِخ أصحابُ السبتِ قردةً وخنازيرَ.

ومسخٌ معنويٌّ: وهو مسخُ العقولِ والفِطَرِ، فيصيرُ عندهم الحقُّ باطلًا، والباطلُ حقًّا، بلا غَيرةٍ ولا مروءةٍ، فتجدُهم مطموسي البصائرِ، وهذا نراه في الزنادِقةِ وأهلِ البدعِ والمجاهرين بالعصيانِ وبخاصةٍ الرافضةَ والصوفيةَ والخوارجَ.

وكذلك مسخُ الصورةِ، فترى الإنسانَ مِن هؤلاءِ وقد انطبعَ على وجهِه صورةُ الحِمار أو الخنزيرِ أو القردِ أو الحيةِ ونحوِ ذلك.

٢٦ـ لا ناصرَ إلا اللهُ، ومَن خذَلَه اللهُ فهو المَخذولُ المهزومُ:

قال اللهُ تعالى عن قارونَ الباغي: {فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص:٨١]؛ أي: لمَّا خذلَه اللهُ، وانتقمَ منه، وخسف به وبدارِه الأرضَ لم ينفعْه مالُه ولا خدَمُه ولا حشَمُه ولا جاهُه، ولم يملِكوا له نصرًا ولا نفعًا، وهو كذلك لا يستطيعُ أن ينصُرَ نفسَه وينجِّيها من عقوبةِ اللهِ تعالى.

قال اللهُ تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾} [محمد:١١] فأهلُ الإيمانِ والاستقامةِ

ينصُرُهم اللهُ ويؤيدُهم ويرعاهم، كما قال تعالى: {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [الحج:٤٠]، وقال تعالى : {إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾} [محمد:٧] وقال: {وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾} [آل عمران:١٢٦]، وأما أهلُ الكفرانِ والعصيانِ فإن اللهَ تعالى يتخلى عنهم؛ بل يُنزِلُ عليهم عقوبتَه فيُخزيهِم، وهم وحزبُهم لا يملِكون لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

٢٧ـ العوام والجهال يسيرون وراءَ المصلحة:

لما رأَوا قارونَ خرج عليهِم في زينتِه، قالوا: {يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾}، ولما رأَوْا ما فعل اللهُ به وبدارِه ومالِه قالوا: {لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾}، فالعوامُ إنْ رأَوا في ظاهرِ الأمرِ خيرًا لهم جَرَوا وراءَه للحصولِ على منفعتِه بكلِّ السُّبُل، وإن وجدوا فيه شرًّا لاموا صاحبَه، وحمِدوا اللهَ على أنَّهم لم يُصِبْهم من الشرِّ شيءٌ.

وذلك بخلافِ مَن أنارَ اللهُ بصائِرَهم بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، فإن اللهَ يُرَسِّخُ أقدامَهم، ويثبِّتُ قلوبَهم، ويحفظُهم من الفتن، فلا يغترُّون بدنيا ولا بِجَهْلِ جاهلٍ.

٢٨- العاقبة للمتقين:

قال الله تعالى بعد ذكرِ قصةِ قارونَ وما فيها من الدروسِ والمواعظِ والعبر: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص:٨٣] فالنجاةُ في الآخرةِ والفوزُ بالرضوانِ، والمقام بالجنانِ والنعيمِ المقيمِ لا يكونُ إلا لِمَنِ اتقى اللهَ واتَّبعَ هداه، كما قال سبحانه: {وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾} [طه:١٣٢]، جعلَنا اللهُ منهم، آمين!

٢٩ـ الناس في الدنيا صِنفَانِ: مَنْ هَمُّه الدنيا، ومَن همُّه الآخرةُ:

ففي هذه القصة رأينا قارونَ والعوامَّ والجُهَّالَ همُّهم الدنيا وزخرفُها وزينتُها، وأما أهلُ العلمِ والعملِ فالدنيا بالنسبة إليهم كالنعلِ الذي يلبَسون، يتبلَّغون به مأربَهم، فالدنيا عندهم مزرعةٌ للآخرة، يتزوَّدون منها بما يقرِّبُهم من اللهِ، ويفوزون بِرِضْوانِه.

www.alukah.net

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ حالَ طلابِ الدنيا وطلابِ الآخرةِ، فقال: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ راغمة، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[1].

٣٠- الحث على الزهد في الدنيا وعدمِ الاغترارِ بالمال وزخارفِها:

والزهد هو أن يأخذَ العبدُ من دنياه ما يُصلِحُ دينَه ودنياه وآخرتَه، فيأخذ منها ما يكفيه لذلك، ولا ينهمِكُ في طلبِها أكثرَ مِن هذا.

فهذا قارونُ انهمكَ في طلبِها حتى طغى وبغى وأفسد في الأرض، فأهلكَه اللهُ، قال تعالى: {فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥} [التوبة:٥٥].

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وصححه الألباني.

٣١ - وجوب الإسراع بالتوبة والإنابة إلى الله قبل فوات الأوان:

فقارونُ وَعَظَه الصالحون من قومِه، ونصحوه؛ ليتوبَ إلى اللهِ، ويُحسِنَ فيما بينه وبين اللهِ وفيما بينه وبين خلقِ الله؛ لكنه تكبَّرَ وتجبَّرَ وخرج عليهم في زينتِه كالمُعانِدِ لهم والمستهزِئِ بهم، فخسف اللهُ به وبدارِه الأرضَ، وقتلَه اللهُ شرَّ قِتْلةٍ من قبلِ أن يرجعَ ويتوبَ إلى اللهِ تعالى، فخسِرَ الدنيا والآخرةَ، بغَتَه اللهُ بالعذاب.

قال تعالى: {وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾} [الزمر: ٥٤-٦٠]

وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[١].

فأخذ اللهُ قارونَ ولم يُفلِتْه بعد أن أمهلَه اللهُ وأملاه، «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢][٢].

٣٢- المالُ والأهلُ لا ينفعانِ الإنسانَ بعدَ موتِه:

لمَّا أخذ اللهُ قارونَ، وخسف به وبدارِه الأرضَ قال اللهُ تعالى: {فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص:٨١] ، فلم ينفعْه مالٌ ولا أهلٌ ولا خدمٌ ولا حرسٌ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[٣].

---

[١] أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧)، وحسَّنه الألباني.

[٢] أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

[٣] أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

والعملُ في القبرِ هو الأنيسُ كما ورد في الحديثِ، يأتي للمؤمنين في صورةِ شابٍّ حسنِ اللونِ طيبِ الريحِ، فيقولُ له: «**مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**». وأما الفاجرُ فيأتيه في صورةِ رجلٍ قبيحِ المنظرِ خبيثِ الريحِ، فيقولُ له: «**مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ**»[(١)].

٣٣- اللهُ وحدَه هو الرزَّاقُ الوهَّابُ الباسطُ القابض:

يبسُطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويقدِرُ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار، يعطي لحِكمةٍ، ويمنعُ لحِكمةٍ، ولا يُسأَلُ عما يفعلُ وهم يُسأَلون، ولا رادَّ لأمرِه، ولا معقِّبَ لحُكمِه، وهو سريعُ الحسابِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»[(٢)]، ومن نَسَبَ لنفسِه صفةَ الرزقِ، وقال: إنما أوتيتُه على علمٍ عندي، كما قال الجاهلُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٤٧٧).

www.alukah.net

المفسِدُ قارونُ، فهو متوعَّدٌ بعذابِ اللهِ وذهابِ النعمِ، كما فعل اللهُ بقارونَ؛ {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ}.

٣٤ـ كثيرًا ما تكونُ سَعةُ الأرزاقِ وكثرةُ النعمِ استدراجًا مِنَ اللهِ:

فقد وسَّع اللهُ على قارونَ حتى صارت مفاتيحُ خزائنِه لا يقدِرُ على حَملِها العُصبةُ من الرجال، والعُصبةُ من سبعةٍ إلى عشرةٍ، فما بالُنا بالخزائن والأموالِ المكنوزةِ والتي لم تؤدَّ زكاتُها ولم تُنفَقْ في حِلِّها؛ بل تُنفَقُ في المعاصي والبغيِ والفساد! وكانت هذه السَّعَةُ استدراجًا له من اللهِ حتى أخذَه أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، وخسف اللهُ به وبدارِه وخزائنِه وأموالِه، ولذلك قال نبيُّنا محمدٌ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**»[(١)].

٣٥ـ الهداية هدايتان:

١ـ هدايةُ إرشادٍ: وهي التي يملِكُها كلُّ نبيٍّ ورسولٍ وكلُّ داعٍ إلى الخيرِ، قال اللهُ تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾}

[(١)] أخرجه أحمد (١٧٣١١).

[الشورى:٥٢]؛ أي: أنك لَتُرشِدُ الناسَ وتعلِّمُهم الطريقَ القويمَ الذي يفوزون به بخيرَي الدنيا والآخرة.

٢ـ هداية توفيقٍ وسدادٍ: وهذه لا يملِكُها نبيٌّ مرسَل ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا يملِكُها إلا اللهُ تعالى ، قال سبحانه: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾} [القصص:٥٦].

فنبيُّ اللهِ موسى ﷺ دعا قومَه ومنهم قارونُ بموجبِ هدايةِ الإرشادِ؛ لكنه لا يملكُ لقارونَ ولا لغيرِه هدايةَ التوفيقِ والسَّدادِ والاستقامةِ على منهجِ الله.

وإنما هذا كلُّه للهِ وحدَه الذي قال: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»[(١)]؛ أي: اطلبوا الهدايةَ وخذوا بأسبابِها، وأنا أمنحُها إياكم، فمَنِ اهتدى فبِفَضْلِ اللهِ ورحمتِه، ومَنْ ضلَّ فبعدلِ الله وحكمتِه، قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾} [الصف:٥].

[(١)] أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

٣٦ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الصالحون من قومِ قارونَ لما رأَوْه تكبَّرَ وبغى وانحرف، قاموا بنُصحِه ودعوتِه إلى اللهِ وإقامةِ الحجةِ عليه: {إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾} [القصص:٧٦-٧٧].

فجزاهم اللهُ خيرًا؛ إذ قد أدَّوْا ما عليهِم، قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[١].

وقال ﷺ: «أَلا وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٤٩).

[٢] أخرجه أحمد (١/ ٢٠٨).

وفي لفظ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، وَلا يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»[١].

وقال سبحانه: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [آل عمران:١٠٤].

ولا يزال الناسُ بِخَيرٍ ما أمروا بالمعروفِ ونَهَوا عنِ المنكرِ، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [آل عمران:١١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٢].

---

[١] أخرجه أحمد (١/ ١٩٧).

[٢] أخرجه مسلم (٥٥).

كذلك نصح أهلُ العلمِ عوامَّ الناسِ المغرورين بزينةِ قارونَ وحذَّروهم، فقالوا لهم: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾} [القصص:٨٠].

٣٧ـ سوءُ أدبِ الطغاةِ والمتكبرين والبغاةِ المفسدين:

قارونُ- لعنه الله- لمَّا نصحَه قومُه بالنصائحِ العظيمةِ الجليلةِ في هذه القصةِ، ردَّ عليهم بجوابٍ جافٍ يحمِلُ كلَّ معاني سوءِ الأدبِ وسوءِ الأخلاق، كلامِ رجلٍ مغرورٍ مطموسِ البصرِ والبصيرةِ، تكلمَ بكلمةٍ تحمِلُ كلَّ معاني الفسادِ والإفسادِ، قال: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ}؛ أي: أن هذا المالَ تحصَّلتُ عليه بعلمي ومهارتي وقدرتي واستحقاقي له، فكان متطاوِلًا كافرًا بأنعُمِ اللهِ متكبراً مغرورًا.

٣٨- إهانة المتكبِّر الفاجر المغرور كافر النعمة بقدر الاستطاعة وبغير مضرة تعود على الإنسان:

لمَّا تطاولَ قارونُ وأساءَ الأدبَ تكبراً وغرورًا في الردِّ على قومِه الناصحين، ردُّوا عليه بعبارةٍ عظيمةٍ فيها التهديدُ والإشارةُ

بالوعيدِ بنقمةِ اللهِ منه، فقالوا: {أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} ؛ أي: أَبْشِرْ بالبلاءِ والعذابِ، فكما أهلكَ اللهُ مَنْ كانَ قبلَك من المتكبرين، فسُنَّةُ اللهِ في خلقِه إهلاكُ مَن فعلَ فِعلَهم وسلَكَ سبيلَهم.

٣٩- لا غِنى عنِ اللهِ طرفةَ عينٍ، ومنِ اسْتغنى عنِ اللهِ أهلكَه اللهُ: فاللهُ جلَّ وعلا هو الحيُّ الذي بيدِه حياةُ كلِّ شيءٍ، وهو القيومُ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، وهو القائمُ بنفسِه، الغَنِيُّ عن خلقِه، والخلقُ جميعًا تحت قيومِيَّتِه، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فليس للعبدِ قدرةٌ على التحولِ من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوةٌ على فعلِ شيءٍ إلا بمعونةِ اللهِ وحدَه، فالذي رزق ووهب وأحيا وشفى وأعانَ وزوَّجَ وأنعمَ هو اللهُ وحده، فلا يستطيعُ مخلوقٌ أن يحيا في هذه الدنيا إلا بمعونةِ الله، ولا يمكِنُ لحيٍّ أن يستغنيَ عن اللهِ طرفةَ عين، ولذلك كان النبيُّ ﷺ يدعو ربَّه تعالى، ويقول: «**يَا**

www.alukah.net

حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[١].

وكان يقولُ:

واللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

أما قارونُ فقدِ اغترَّ بكثرةِ مالِهِ وجاهِه، وظنَّ أنَّه بذلك استغنى عنِ اللهِ، فقال: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ}، فأهلكَه اللهُ.

٤٠ـ المالُ فتنةٌ عظيمةٌ، وإذا لم يتقِّ العبدُ ربَّه فيه هلكَ وضاعَ دينُه ودنياه: قال النبيُّ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[٢].

فحِرصُ المرءِ على حبِّ المالِ والإكثارِ من جمعِه لجاهِ الدنيا وشرَفِها أفسَدُ لِدينِه مِنْ إفسادِ الذِّئْبَينِ الجائِعَينِ إذا دخلا حظيرةً فيها غنمٌ، وطالِبُ المالِ كشاربِ ماءِ البحرِ، كلما ازدادَ شُربًا ازدادَ

---

[١] أخرجه النسائي في السنن الكبري (١٠٣٣٠).

[٢] أخرجه أحمد (١٥٧٨٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني.

عطشًا، وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ حبَّ ابنِ آدمَ للمالِ، فقال: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»[1].

قارونُ اغترَّ بكثرةِ مالِه، فَأُشْرِبَ حُبَّ الدنيا في قلبِه، فبغى وطغى، وقال: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ}.

فالمالُ غدَّارٌ، سَرعانَ ما يفتِنُ صاحبَه ويُغيِّرُه إلى الغرورِ والكبرِ والفسادِ في الأرضِ، والمالُ سلاحٌ ذو حدَّينِ، إما أن يكونَ استخدامُه في الطاعة، وإما في المعصيةِ، وأكثرُ الناسِ والأممِ يستعملون المالَ في الإفساد في الأرضِ.

قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا**». قَالَ: «**فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ**». قَالَ: «**وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا**». قَالَ: **فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**». قَالَ: «**فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**». قَالَ: «**وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ**

---

[1] أخرجه البخاري (٦٤٣٩).

www.alukah.net

يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ». قَالَ: «وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ». قَالَ: «هِيَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»[1]. وهذا حالُ أكثرِ الناسِ، عياذًا بالله!

ومن عظيمِ حِكمةِ اللهِ أنه يوسِّعُ للكفارِ، والمشركين، والزنادقةِ المنافقين، والعصاةِ المجرمين، وأهلِ البدعِ في أموالِهم وأرزاقِهم، وفي هذا أعظمُ البلاءِ والفتنةِ والاستدراجِ لهم؛ لأنهم يستعمِلون هذا المالَ في محاربةِ اللهِ ورسولِه ﷺ، والمجاهرةِ بالمعاصي، ونشرِ الإلحادِ والكفرِ والفسقِ والضلالِ.

ولذلك كان من دعاءِ النبيِّ ﷺ التعوذُ من شرِّ فِتنةِ الغِنى.

فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ

---

[1] أخرجه أحمد (١٨٠٣١).

النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ»[١]؛ ولم يقل: «مِن شَرِّ فتنةِ الفقر»، كما قال في الغنى؛ وذلك لأن شرَّ فتنةِ المالِ أشدُّ وأعظمُ خطرًا وجُرْمًا من فتنة الفقر، لأن فتنةَ الغنى لها شرٌّ عظيمٌ؛ وهي الكِبْرُ والبَطَرُ والطغيانُ والبَغيُ والتفاخرُ به، وصرفُ المالِ في المعاصي ومحاربةُ اللهِ ورسولِه ﷺ والمؤمنين، ونشرُ الفواحشِ ما ظهرَ منها وما بطنَ.

ففتنةُ الغِني حملتِ الكفارَ والمشركين والزنادقةَ والروافضَ واليهودَ والنصارى والشيوعيين والعلمانيين على قتلِ المسلمين في الشرقِ والغربِ بكل أنواعِ السلاح، ونشرِ جميعِ الفتنِ فيهِم من بدعٍ وشركٍ وجهلٍ وضلالٍ وزِنًا ولواطٍ وخمرٍ وفسادٍ... إلخ.

وصدق فيهم قولُ اللهِ تعالى: {كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧} [العلق:٦-٧].

٤١- من أعظمِ ألوانِ البلاءِ أن ينقلِبَ القريبُ أو الصديقُ على قريبِه وصديقِه: فقارونُ كان من قومِ موسى، قيل: كان ابنَ عمِّه،

---

[١] أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

وكان مؤمنًا فقيرًا، فلما أغناه اللهُ كفرَ النعمةَ، وبغى وأساءَ لموسى وقومِه، وتكبَّرَ عليهم وعانَدَهم، وصار عونًا للكفارِ عليهم، وهذه أعظمُ العداواتِ.

وقد يكونُ انقلابُ الصديقِ أو القريبِ إلى عدوٍّ بعد محبتِه سببُه الحسدُ المتأصِّلُ في قلبِه أيامَ فقرِه على أهلِ الفضل، فلما أغناه اللهُ وجد ما يُظهِر به حسدَه وعُدْوانَه وتكبُّرَه؛ لأنه خسيسُ الأصلِ، حقودُ القلب، وهذا حالُ أكثرِ المُنقلِبينَ، رجعوا لأصولِهم، وظهروا على حقيقتِهم، وأظهروا ما كانوا يُخفون قبلُ.

٤٢- العاقلُ إذا وُعِظَ اتَّعظَ، والجاهلُ مَنْ تَنكَّبَ الطريقَ السوِيَّ، فأوردَه مواردَ الهلاكِ:

فقارونُ وعظَه قومُه موعِظَةً بليغةً تقشَعِرُّ لها القلوبُ، وتدمَعُ لها العيونُ، ومع ذلك كان عنيدًا قاسيَ القلبِ، قليلَ الأدبِ، سيِّئَ الخُلُقِ، لم يتَّعِظْ ولم يَعتَبِرْ، فكان ردَّ فعلِه أنْ خرجَ عليهم بزينتِه؛ عِنادًا لهم، واستهزاءً بهم، وتكبُّرًا وتجبُّرًا عليهم، فأهلكَه اللهُ.

٤٢ ـ العقوبةُ العاجلةُ للمتكبرين في الدنيا قبلَ الآخرَةِ:

وقد سبق ذِكْرُ أُناسٍ أهلكَهم اللهُ لِكِبْرِهِم وكفرِهم لِنِعمِ اللهِ تعالى، ومنهم قارونُ صاحبُ القصة، وقومُ عادٍ، وثمودَ، وقومُ لوطٍ وشعيبٍ، وقومُ نوحٍ، وصاحبُ الخُيَلاءِ المذكورِ في الحديثِ، فهنيئًا للمتكبِّرين بِسَخطِ اللهِ عليهم وعذابِه العاجلِ في الدنيا قبلَ الآخِرةِ.

٤٣ ـ فائدة في الاغتِرارِ بالعلمِ وعاقبتِه:

العلمُ مَحضُ هبةٍ وفضلٍ من اللهِ تعالى للعبدِ، ليس للعبدِ أدنى فضلٍ في تحصيلِه ولا تعَلُّمِه، والذي يوفِّقُ العبدَ لتحصيلِ العلمِ وحفظِه وفهمِه والحصولِ على شهاداتِه هو اللهُ وحده لا شريكَ له، قال اللهُ تعالى في حقِّ أعلمِ الخلقِ باللهِ وأتقاهم له محمدٍ ﷺ: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾} [النساء:١١٣].

وقال: {وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾} [العنكبوت:٤٨]، وقال: {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ

مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾} [الشورى:٥٢].

وهذا خليلُ الرحمنِ عليه السلام الذي قال اللهُ فيه: {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾} [النحل:١٢٠-١٢٢]، وحينما دعا إبراهيمُ أباه إلى اللهِ قال لَه: {يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾} [مريم:٤٣].

لم يقُلْ له: أنا العالمُ الفلاني، وأنت الجاهلُ، بل كان يكلمُ أباه العدوَّ الكافرَ، بقمةِ التواضعِ والأدبِ وخفضِ الجناحِ والشفقةِ والرحمةِ، ويَنسُبُ الفضلَ والعِلمَ للهِ وحدَه الذي جاءَه به وعلَّمَه إياه.

ولمَّا قصَّ يوسُفُ رؤياه على أبيه، قال له أبوه: {وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾} [يوسف:٦].

فالذي يُعلِّمُ العبدَ ويوفِّقُه للعلمِ هو اللهُ وحدَه، فلا يجوزُ للعبدِ أن ينسُبَ الفضلَ لنفسِه؛ لأنَّ هذا من كفرانِ النِّعمِ، قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾} [النحل:٨٣].

والذي يغترُّ بعلمِه ويتكبَّرُ به شخصٌ مريضٌ نفسيًّا وعصبيًّا وقلبيًّا، مدخولٌ عليه في نِيَّتِه، وفي قلبِه فسادٌ عريضٌ، فالكبرُ والغرورُ سبيلُ الضلال والهلاكِ والمسخِ والخسفِ والقذف.

قال الله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾} [الأعراف:١٤٦].

فالمتكبرُ بعلمِه يُزِيغُ اللهُ قلبَه، فيصرِفُ عنه الفَهمَ الصحيحَ لكتابِه وسُنةِ رسولِه ﷺ، ويحوِّلُه من السُّنةِ إلى البدعةِ، ومن الهدى إلى الضلالِ، ومن التوحيدِ إلى الشركِ، ومن الإخلاصِ إلى الرياءِ والسُّمعةِ والعُجبِ والغرورِ ونحوِ ذلك، ويطمِسُ اللهُ على بصرِه وبصيرتِه، فيرى الحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًّا، ويصيرُ عبدًا للهوى

والمعاصي، فيكون كمَثَلِ الكلبِ، إنْ تحمِلْ عليه يلهَثْ أو تتركْه يلهَثْ، قال سبحانه: {وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧} [الأعراف:١٧٥-١٧٧].

فالعبدُ المخلِصُ كلما ازداد علمًا ازداد علمُه بجهلِه، وكلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا وخشيةً وافتقارًا إلى اللهِ، وتعظيمًا لجلالِه: {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ٢٨} [فاطر:٢٨]؛ أي: أن العلماءَ المخلصين هم أشدُّ الناسِ خشيةً وتواضعًا للهِ.

فقارونُ لما بغى وتكبرَ ونصحَه علماءُ قومِه فقال لهم مترفِّعًا مغرورًا متكبِّرًا بما عنده من العلمِ: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ}، فتكبَّرَ بعلمِه واغترَّ به فكانت العاقبةُ: {فَخَسَفۡنَا بِهِۦ

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾} [القصص:٨١].

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

آمينَ آمينَ!

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: نص القصة من القرآن الكريم	٧
المبحث الثاني: معاني مفردات القصة	٨
المبحث الثالث: المعنى الإجمالي للقصة	١١
المبحث الرابع: الفوائد والدروس المستفادة	١٨
١ـ أن القرآنَ هو كلامُ اللهِ، وأن محمدًا هو رسولُ اللهِ ﷺ ونبيُّه المُوحَى إليه	١٨
٢ـ الثباتُ على الهدايةِ محضُ توفيقٍ وفضلٍ من اللهِ تعالى وحدَه	١٨
٣ـ الهدايةُ لا يملِكُها مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ	٢٠
٤ـ القرابةُ لا تنفعُ عند الله، وإنما الذي ينفعُ هو الإيمانُ والعملُ الصالحُ الخالصُ	٢٢
٥ـ في قصةِ قارونَ أعظمُ تسليةٍ لكلِّ مَنْ أُوذِيَ مِن أهلِه وقرابتِه	٢٣
٦ـ من أعظمِ أسبابِ البغي والظلمِ والفسادِ والكبرِ والعُجبِ والغرورِ: الغِنى والتَّرَفُ وسَعةُ الأرزاقِ الدنيوية	٢٤

٧- الفرح فرحان: محمودٌ، مذمومٌ ٣٠
٨- وجوبُ استخدامِ ما وهب اللهُ من النِّعمِ في طاعةِ اللهِ ومَرْضاتِه والفوزِ بجناتِه في الدار الآخرة ٣١
٩- الدنيا مزرعةٌ للآخرةِ، بالإيمانِ بالله والعملِ الصالحِ الخالصِ للهِ ربِّ العالمين ٣٢
١٠- وجوب الإحسان فيما بين العبد وربِّه، وإلى خلق الله تعالى ٣٣
١١- وجوب اجتناب المعاصي وجميعِ وسائلِ الفسادِ وما يُقرِّبُ إليها ٣٦
١٢- إثباتُ صفةِ المَحبةِ والكُرهِ للهِ تعالى على ما يَليقُ بجلالِه وكمالِه، وليس كحبِّ المخلوقين وكرهِهم ٣٨
١٣- من كفرانِ النِّعمِ نسبةُ الفضلِ إلى غيرِ اللهِ تعالى ٣٩
١٤- جزاءُ كفرانِ النِّعَمِ ٤١
١٥- وجوبُ الاعتبارِ بمصارعِ الظالمين وعاقبةِ المتقين ٤٤
١٦- عاقبة الشاكرين وجزاء شكران النِّعم ٤٦
١٧- إهانة المجرمين في الدنيا والآخرة ٤٧
١٨- ذَمُّ الكِبرِ والمتكبِّرين ٤٩

١٩ـ مدح التواضعِ والمتواضعين ٥٠
٢٠ـ الزينةُ زينتان مباحةٌ ومحرَّمة ٥٠
٢١ـ اغترارُ العوامِّ والجُهَّالِ بالمظاهرِ الخَدَّاعةِ وزينةِ الدنيا ٥٤
٢٢ـ فضل العلم وأهله ٥٦
٢٣ـ فضلُ الصبرِ بأنواعِه ٥٨
٢٤ـ الغِنى وسَعَةُ الأرزاقِ ليست دليلًا على محبةِ اللهِ للعبدِ ولا رِضاه عليه في كلِّ الأحوال ٦٠
٢٥ـ الخسفُ عقوبةٌ ربانيةٌ، يعاقبُ اللهُ بها من يشاءُ من عبادِه ٦٢
٢٦ـ لا ناصرَ إلا اللهُ، ومَن خذَلَه اللهُ فهو المَخذولُ المهزومُ ٦٨
٢٧ـ العوام والجهال يسيرون وراءَ المصلحة ٦٩
٢٨ – العاقبة للمتقين ٧٠
٢٩ـ الناس في الدنيا صِنفَانِ: مَنْ هَمُّه الدنيا، ومَن همُّه الآخرةُ ٧٠
٣٠ـ الحث على الزهد في الدنيا وعدمِ الاغترارِ بالمال وزخارفِها ٧١

٣١ - وجوب الإسراع بالتوبة والإنابة إلى الله قبل فوات الأوان ٧٢
٣٢- المالُ والأهلُ لا ينفعانِ الإنسانَ بعدَ موتِه ٧٣
٣٣- اللهُ وحدَه هو الرزَّاقُ الوهَّابُ الباسطُ القابض ٧٤
٣٤ـ كثيرًا ما تكونُ سَعةُ الأرزاقِ وكثرةُ النعمِ استدراجًا مِنَ اللهِ ٧٥
٣٥ـ الهداية هدايتان ٧٥
٣٦ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٧
٣٧ـ سوءُ أدبِ الطغاةِ والمتكبرين والبغاةِ المفسدين ٧٩
٣٨- إهانة المتكبِّر الفاجر المغرور كافر النعمة بقدر الاستطاعة وبغير مضرة تعود على الإنسان ٧٩
٣٩- لا غِنى عنِ اللهِ طرفةَ عينٍ، ومنِ اسْتغنى عنِ اللهِ أهلكَه الله ٨٠
٤٠ـ المالُ فتنةٌ عظيمةٌ، وإذا لم يتقِّ العبدُ ربَّه فيه هلكَ وضاعَ دينُه ودنياه ٨١
٤١- من أعظمِ ألوانِ البلاءِ أن ينقلِبَ القريبُ أو الصديقُ على قريبِه وصديقِه ٨٤
٤٢ـ العاقلُ إذا وُعِظَ اتَّعظَ، والجاهلُ مَنْ تَنكَّبَ الطريقَ ٨٥

السوِيَّ، فأوردَه مواردَ الهلاكِ
٤٢ ـ العقوبةُ العاجلةُ للمتكبرين في الدنيا قبلَ الآخرَةِ ٨٦
٤٣ ـ فائدة في الاغتِرارِ بالعلمِ وعاقبتِه ٨٦